

ومحتمل أن يكون الاستطراد من هذا الأصل أو من ذاك، وإذاً يكون المعنى على أنه من الخروج: أن الكلام في المقام الذي يكون فيه استطراد، يغرى المتكلم بالعدول عن وجهه إلى حين، والأخذ في فن آخر، لمناسبة تسوغ هذا العدول، وتمهد له السبيل. ويكون المعنى أيضا على أنه من التساقق والاتباع: أن الكلام يغرى المتكلم برعاية النسق للمناسبة العارضة، فيرسل الكلام على ما تقتضيه، ليمضي تابعا بعضه بعضا، وجاريا بعضه في إثر بعض. ومثل المتكلم المستطرد على كل حال، كمثل من يطرد صيدا، ثم يعن له صيد آخر فيطرده، ثم يرجع إلى الأول فيشغل به. (1)

والاستطراد في الأصل ظاهرة من طواهر العقل غير الناضج، ولذا يقل عند الكبار والمثقفين، ويكثر عند الأطفال وغير المثقفين؛ لأن الطفل ملول يحب التجديد، حتى لا يكاد يصبر على حال، أو يطيق قصر انتباهه على شيء، إلا قليلا. مثله كمثل النحلة الطلوب، لا تكاد تستقر على زهرة أو ثمرة حتى تتحول عنها إلى أخرى.

ويشبهه في ذلك الذين لم يتح لهم نصيب من ثقافة أو تعليم، لأن المناسبة العارضة تزين الاستطراد وتغري به، إلا أن ذوي العقول الناشئة ومن إليهم، لا يستطيعون مقاومتها، ولا الامتناع عليها، كما يستطيع الآخرون في أكثر الأحوال، فيشقون الحديث، ويذهبون به مذاهب شتى.

ولو أننا أخذنا ورقة وقلما، ورحنا نتتبع اطراد المنطق، وتسلسل الوقائع في حديث طفل، أو شخص غير مثقف، نرسم خطا مستقيما كلما استقام الحديث على الطريقة، ونميل به يمينا أو شمالا كلما انحرف هنا أو هناك - لخلصنا في نهاية الحديث بخط تقل فيه الاستقامة، ويكثر الالتواء فيه والتعرج.

على أن ذلك كله لا يمنع الاستطراد الفني أن يعد نوعا من البديع، يحمده علماء البلاغة وينوهون به، ويصطنعه الأدباء ويفتنون فيه، لأنه لا يعدو أن يكون بموضعه كالجملّة الاعتراضية بموضعها: كل يفصل قليلا بين طرفي الكلام، وكل له

* (هو امش)*

(1) راجع الطراز: 3؛ 11- 13.

